قرطاس

▪ أحمد عبد الحسين

زيّ الهـــوا

ما أن تبدأ سلطة ما بالسيطرة على أجساد الناس حتى تغامر بجعل نفسها دولة بوليسية، فالتحكّم بالعقول وتسوية العقائد المخالفة ومحاولات تغيير الرأي في الدول الديمقراطية، يتخذ سمةً غالباً ما تكون غير عنفية، وتكون وسيلة الدولة في ذلك إعلامها ومراكز بحوثها وماكنتها الدعائية، لكنّ الدول الديكتاتورية أو ذات الديمقراطية المشكوك بها، لا تكتفي بمحاولة الهيمنة على العقول والضمائر سلمياً، بل تسعى إلى تجريب وصفة بدائية للهيمنة على المجتمع من خلال التسلّط على أجساد أبنائه.

قبائل إفريقية تترك هويتها المميزة على وجوه أفرادها، أزياء الأديان المميزة تدخل في هذا الإطار، اللون الأسود في إيطاليا الفاشية، منع لبس الطربوش في تركيا أتاتورك، وفي إيران بداية التسعينات كانوا يقبضون على من يلبس قميصاً بنصف كمّ. طالبان أصدرتْ فرماناً يقضي بأن يلبس جميع الرجال عمامة سوداء، ومن يخالف ذلك يجلد.

في ثمانينات القرن الماضي كانت دوريات تلاحق من يلبسون قمصاناً ملونة ودشاديش مزركشة، آنذاك فوجئتُ أنني أقف وجهاً لوجه في الشارع أمام سمير الشيخلي "وزير الداخلية" أمسك بصديق لي يلبس "جلابية"، أخرج الشيخلي سكيناً وشقّها من فتحة الصدر لتغدو الدشداشة عباءة، كان صاحبي محظوظاً لأن الشيخلي اكتفى باستخدام سكينه على الملبوس لا اللابس. طبعاً كان البعض غير مشمول بهذه القرارات، في الكلية رأيت طالبة تلبس ملابس فاضحة وكانت صديقة عديّ بن صدام، نهرها عميد الكلية يوماً "ما هذا الزيّ؟" فأجابته وهي تطقطق علكتها "زيّ الهوا"!

في دول مثل هذه، تتفتق بدائيةُ عقول ساستها عن مقترحات بدائية للسيطرة على المجتمع، نتذكر هياج صالح عماش وطلفاح أوائل السبعينات في محاربة أزياء لا يحبونها وقرارات مجلس قيادة الثورة القاضية بمكافحة ما سمّي بـ"مظاهر التزلّف والتخنّث"!

ليست مشكلة السلطة الحقيقية مع "التزلّف" والقمصان بنصف كم أو لون العمامة لكنّ هذه العقليات التسلطية تروم إشغال الناس وإلهاءهم ورؤية قدرتها على فرض سلطتها عياناً.

حين تعلن حكومة ما أنها أولي بأجساد الناس من أنفسهم فإنها تمارس عليهم إخصاء، إكراهاً يلجم المعارضين، رسالة مؤداها إننا قادرون على احتلال الروح والعقل والجسد.

أمس أعلن ضابط كبير أن وزارة الداخلية ستشنّ حملة للقضاء على ظاهرة الإيمو، الجديد أنه استنجد برجال دين لشرعنة الحملة.

لا أستغرب أني ستكتحل عيناي قريباً برؤية وزير داخلية (الوزير وكالة لأن العراق آمن بحيث لا يحتاج إلى وزير داخلية بالأصالة) يتمشى في شوارع بغداد مع حمايته وفي يده عصا وفي اليد الأخرى سكين يشق بها الدشاديش.

قال ماركس: التأريخ يكرر نفسه مرتين ،الأولى كمأساة ،والثانية كمسخرة. ولقد صدق ماركس.

قليل من الصراحة، كثير من العتب

ضعف اليسار العربي موقّت أم مؤشّر على زوال؟

في موضوع سابق نشرته "المدى" تحت عنوان "اليسار العربي إخفاقات أم تحديات عجز عن مواجهتها" أشرنا في نهايته إلى مناقشة ما استعرضه اللقاء اليساري العربي الثالث في اجتماعه المنعقد في بيروت في كانون الثاني الماضي، ورغم ما قد يبدو في العنوان من حدّة واضحة لكنه يعبر عن تساؤل يراود الكثير ممن ضحوا على طريق تحقيق أحلام ظلت تراود مخيلتهم لعشرات السنين، ليصحوا بعد حين على واقع وعالم يرون فيه تغيراً لافتاً فيه يجعلهم في مؤخرة الصفوف فيبحثون عن جواب لحالة التراجع والنكوص. ومن باب الأمانة العلمية الإشارة إلى أن العنوان أصلاً مستوحى من دعوة أطلقها علاء الدين عرفات من سوريا خلال حديث له في مناقشات هذا اللقاء الذي أنهى أعماله في الخامس عشر من الشهر الماضي عندما دعا "كل تنظيم شيوعي إلى أن يسأل نفسه ما إذا كان هذا الضعف الذي يعانيه موقتاً أم أنه مؤشر على زواله".

طارق الجبوري

اليسار .. أي دور له في ربيع العرب؟

ومع الأهمية التي كنا نرجوها من عقد هذا المؤتمر في ظل ما تشهده ساحة العمل السياسي العربية من انحسار واضح لهذا التيار فانه بصراحة، وكما يبدو من خلال اطلاعنا على ما وفرته وسائل النشر، ظل في معظم طروحاته أسير الشعارات التي لا تسمن ولاتغني من جوع ولم يرق حتى في توصيات بيانه إلى مستوى التحدي الذي يواجهه. صحيح أن البعض قد تناول موضوعة الانكفاء والضعف والانحسار لكنه مرّ عليها "مرور الكرام" رغم انه الخطوة الأولى التي يجب أن يتوقف عندها المشاركون ويشبعونها بحثاً وصولاً إلى المعالجات. لا نريد أن نبخس جهد القائمين على المؤتمر ولا جهود المشاركين الممثلين لـ "٢٢ حزباً من ١١ بلداً عربياً" مع أن طروحات البعض منهم توحي بالتغريد خارج السرب كما يقول المثل دون التفات للمتغيرات الكثيرة التي طرأت على العالم، ولا نريد أن ندّعي أن ما جاء في بيان المؤتمر الختامي طروحات غير واقعية، لأن مجرد انعقاد المؤتمر في هذه المرحلة مهم جداً، لكنا. ونعتقد أن الملايين مثلنا. كنا نتمنى أن تأخذ موضوعة ضعف دور اليسار وأسبابه حيزاً أوسع في مناقشات المؤتمر ، لأنها الخطوة الأولى لمحاولة استعادة هذا التيار لدوره المؤثر في الشارع العربي ، وأن يتم إحصاء الأخطاء الذاتية التي أوصلت هذا التيار إلى هذا الموقف ، والتوقف عندها كثيراً لأنها الخطوة الأولى في إمكانية تحقيق توصياته ، سواء ما يتعلق منها بـ "مسألة تعزيز الديمقراطية بكل أشكالها ومستوياتها" أو لـ "مواجهة المشروع الإمبريالي المسمى "الشرق الأوسط الجديد"، الذي يسعى إلى ترسيخ السيطرة الإمبريالية على منطقتنا عبر استعادة مشاريع سابقة تهدف إلى تفتيت العالم العربي إلى دويلات تقوم على أسس طائفية ومذهبية وإثنية " أو غيرها مما يتعلق بالجانب الاقتصادي .

المشكلة كما نرى أكبر من ذلك وأعمق وتتعلق بمشاكل داخلية عاناها تيار اليسار العربي بمختلف مكوناته ورؤى وأساليب عمل وتكتيكات ، أفضت إلى شبه حالة يأس عند غالبية القاعدة الشعبية التي كانت الحاضن الأكبر لمكونات هذا التيار الذي قال إن "تجذير الثورات العربية، لا يتحقق إلا من خلال التنسيق بين مكوناته باتجاه خلق جبهة وطنية ديمقراطية على مستوى كل بلد عربي وعلى المستوى العربي العام، بالاستناد إلى برنامج تغييري يؤسس لقيام حركة تحررية عربية من نوع جديد " دون أن يقول كيف ! . فجمعينا متفق على أهمية البرنامج التغييري ونبه ودعا في أكثر من مناسبة إلى ذلك ، غير أن ما ننتظره هو تحويل هذا الشعار إلى واقع قبل فوات الأوان ،خاصة أن بعض هذه التيارات سبق أن شخصت في مؤتمراتها هذه الحالة التي يعيشها اليسار لكنها بقيت عاجزة عن تحويلها إلى واقع ، ما أدى إلى أن تتخلف عن عملية التأثير بالواقع . لم تكن الثورات العربية التي قادها الشباب وحصد ثمارها الإسلاميون الحالة الأولى ، فقد سبقها نكوصات متعددة في مصر وسوريا و العراق والسودان ولبنان الذي كان اليسار فيها الداينمو الأساس لانتفاضته الشعبية منذ الثلاثينات ولحين عصر الانقلابات العسكرية " الثورية " التي دفع ثمن التأييد المطلق والأعمى لها قادة تاريخيون وأعداد كبيرة من القاعدة الشعبية لليسار ناهيك عما سببته هذه القضية من خلافات حادة أدت إلى انشقاقات كبيرة هزت بعض أجنحة التيار وأضعفته تدريجيا . لسنا بصدد مراجعة ما تعرض له رموز اليسار العربي وقاعدته العريضة من محن وأساليب قمع وتصفيات دموية كانت الأشد في عهود الأنظمة الثورية التي صفقنا لها وبنينا بيوتاً من رمل على وفق اجتهادات نظرية أوهمتنا إمكانية الانتقال بها تدريجياً إلى مرحلة الوطنية الديمقراطية وتمادت بعض مكونات التيار أكثر من ذلك فسمحت ، كما عبر احد ممثلي الأحزاب ، بأن يكون ذيلاً تابعاً لطبقة جديدة أفرزتها مرحلة الانقلابات ، فانتهكت الوطنية تدريجياً ولم نحظ بالديمقراطية وضاعت القاعدة التي صبرت كثيراً وضحت لتجد نفسها تعيش أوضاعاً مأسوية . فإلى جانب الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المزرية التي كان عليها أن تتحملها من اجل إلحاق الهزيمة بالامبريالية والصهيونية ، ولتجد نفسها تعيش حالة هزائم وانكسارات لم تفلح أناشيد المعارك بتغطية عارها . هذه هي الصورة المبسطة التي عاشتها قواعد اليسار العربي وتحملتها عقود مرت من الزمن ، أنهكت البعض منها الذي اضطر للبحث عن خلاصه خارج صفوف التيار ويسبح في تيارات أخرى غطاؤها الدين وحقيقتها غير ذلك . ولكي لا يفهم حديثنا بشكل خاطئ فإننا مؤمنون بأن هذا الزمن أفرز حقائق مهمة لا يجوز تجاهلها من أبرزها ظهور حركات إسلامية متنورة بعيدة عن التطرف والتعصب الأعمى ، يؤمن حقاً بأهمية بناء الدولة المدنية ولاضير عنده من التفريق بين الدين والدولة ، لذا فمن الخطأ تكرار أخطاء الماضي وإطلاق الاتهامات جزافاً على هذا الطرف أو ذاك بمنطق يخلو من قراءة خريطة الحاضر ومتغيراتها . لا نريد أن نكون بمثابة واعظين لشخصيات يسارية قدمت الكثير وليس من حقنا ذلك ، غير أننا نشعر بأن من واجبنا ، على الأقل كمؤمنين بفكرة أهمية عودة هذا التيار بقوة إلى ساحة العمل السياسي ، أن ننبه إلى أن بعض ما طرح من آراء في المؤتمر يعبر عن مزايدة سياسية وقفز على الواقع وتمسك بأساليب عمل وأفكار تحتاج إلى إعادة نظر للتوائم مع متغيرات الحاضر ومشاكله . وبقليل من الصراحة وكثير من العتب نقول إن البيان وما جاء فيه من توصيات لا يتناسب والتحديات الكبيرة ، عدا ما جاء في الفقرتين السادسة التي جاء فيها " أولى اللقاء أهميةً خاصة للنضال الأيديولوجي بكل أشكال الدعاية والإعلام، وفي هذا المجال يؤكد على ضرورة تطوير الوسائط المتوافرة لدى قوى اليسار العربي، واستحداث وسائط جديدة مشتركة، بما يخدم إيصال برنامجها ومواقفها إلى الجماهير، ويفضح التضليل الأيديولوجي الذي يمارسه الإعلام المعادي." أما السابعة فقالت "يثني اللقاء على الجهود التي قامت بها لجنة الأحزاب التي كلفها في التحضير لإطلاق محطة "اليسارية" التي يعتبرها إنجازا مهماً ووسيلة أساسية من وسائل الإعلام المشترك الهادف إلى نشر خطة اللقاء اليساري السياسية."

ونعتقد بتواضع أن ما تحتاجه مكونات التيار هو إعادة نظر جذرية بخطابها تتناغم فيها مع المتغيرات والسلوكيات الجديدة للجمهور وسبل إعادة ثقة هذا الجمهور بها الذي عزف وراح بعيداً عنها بما فيه الطبقات المسحوقة ، عندها يمكن أن ندخل اللعبة الديمقراطية ونحن واثقون بأن خطواتنا جاءت في مكانها الصحيح . أخيرا كان انعقاد المؤتمر مهم جداً لكن كان عليه اغتنام فرصة هذا الحضور لممثلي ٢٢ بلداً من ١١ بلداً عربياً ، والتركيز على مناقشات عميقة لأزمة اليسار غير الجديدة المتمثلة بضعفه وإيجاد مخرج ومعالجة صحيحة لأوضاعه ، فالوقت يمر وهو ليس بصالحنا إذا لم نعرف جيداً فرصة استثماره بالشكل المناسب والصحيح .

كاريكاتير

■ عادل صبري

عبـاءة أسـرارنـا

مشرق عباس

كلما نظرت في عين سياسيّ أشعر بأن بئراً من الأسرار تتوارى خلف ابتساماته الخجولة وكلماته المرصوفة . أسرارنا نحن ... خيباتنا، وانكساراتنا، وهزائمنا المستمرة.

كيف لنا أن نتخيل بلداً كالعراق صالت به الجيوش وأجهزة المخابرات وقلبت وسائل الإعلام "الفانيلات" الداخلية لسكانه ، مازال مبهماً ... مليئاً بالأسرار والحكايات المتوارية ، والصفقات السرية ، والصمت المطبق؟

منذ تسعة أعوام عبر ١٨٠ ألف جندي أميركي حدودنا وغادروا ، تسللوا جدران منازلنا وآمالنا العريضة ثم تركونا بلا جدران ولا آمال ، لملموا أشياءهم وأشياءنا ، أسرارهم وأسرارنا ، ثم غادروا .. هكذا. ومازلنا نختلف إلى اليوم على تفسير غاياتهم.

نهاية العام ٢٠٠٣ جمعتني الصحافة بضابط أميركي رفيع قال بلهجة لم تبد لي كوميدية حينها : "انظر .. الناس تشتري أجهزة (الستالايت) بجنون ، مكيفات الهواء ، وقريباً ستتمكنون من التحدث عبر الهاتف النقال .. ألا يكفي هذا للقول إننا وضعنا بلادكم على طريق التغيير؟"، وفي العام ٢٠١١ بعد أن أدركت كم كنت "مغفلاً" عندما نسيت أن أتعامل مع حديث ذلك الضابط باعتباره نكتة أميركية "سمجة" ، فاجأني ضابط آخر بفكاهة صريحة بالقول "تركنا لكم الديموقراطية".

أنا في الحقيقة رجل "ديموقراطي" وبعبارة أدق "أحب أن أكون ديموقراطياً" ، لكن شوارع بغداد مازالت ترعبني ، أتلفت حتى عندما أجازف بالخروج بصحبة مجموعة من الأصدقاء الطيبين ، وأدعي الشجاعة لمجاراة شجاعتهم ، وتتصل زوجتي بزملائي بقلق عندما أغلق الهاتف لإجراء مقابلة صحافية.

ومع هذا ليست تلك مشكلة حتى ، فأحد السياسيين يقول لي بلهجة "حكيمة" إن "الديموقراطية شي والأمن شيء آخر" ، وإن انعدام الأمن قد يكون "إحساسا زائفاً" ليس إلا.

أنا أصدّق ، لأني أتمنى أن أصدّق . أتأمل صديقي المبدع عدنان حسين الذي ودع لندن عائداً بحيوية وأمل وشجاعة إلى شوارع بغداد ومقاهيها ... فأصدق ، وألمح الصديق سرمد الطائي في الباب الشرقي يمشي بين بائعي السلع المستعملة ويتناول الشاي مع عمال البناء بعد ليلة هاجم فيها بحرقة عبر لقاء تلفزيوني الحكومة ورموزها ومعارضيها والأحزاب ومليشياتها ورجال الدين ولم يوفر أحداً ، فأصدّق أكثر.

لكنني عاجز عن تصديق أن بلداً تسعى وزارة المرأة فيه إلى إعادة إحياء مصطلح "الحشمة" يسير باتجاه ديموقراطي ، وأن مليون مقاتل يتزاحمون في أزقته تفلت منهم ٢٢ سيارة مفخخة في ساعة واحدة ، وأن موازنة تصل إلى ١٠٠ مليار دولار لا يتوقع أن تحدث فرقاً في الخدمات ولا في حياة الناس ... لن ترتفع بثقافتهم ، ولن تقفز بمستوى تعليمهم ، أو تؤسس لغدهم ، ولن تسخّر لترسيخ قيم التعايش في ما بينهم.

أعجز عن تصديق أن العائلات العراقية تهدر ٨ مليارات دولار سنوياً على توفير الكهرباء من مولدات الشارع والمنزل وصيانتها وتحويل سمائنا إلى غابات من "الوايرات".

ربما أصدّق أن أسرار عشرات المليارات المهدورة خلال السنوات الماضية لم يحن موعد كشفها بعد ، أو أن أسرار الملفات التي يتبادل السياسيون التلويح بها ضد بعضهم لم تبلغ مرحلة الفضح بعد ، لكن سيكون صعباً جداً تصديق سياسي يقول إن تلك الملفات المخبوءة لا تتضمن فقط قضايا إرهاب وسرقات ومؤامرات ، بل تتجاوز إلى الدعارة والاغتصاب والمخدرات.

يتحدث صحافي صديق ، عن نفسه ككاتم أسرار السياسيين ، وعارف بالخبايا والصفقات الكبرى ، وأستمع إليه بصمت ، محاولاً أن أجبر نفسي على التصديق ، فأعجز أيضا.

فصدام رحل مع نظامه من دون أن نكتشف أي سر معتبر من تلك الأسرار التي قادت بخيرة شبابنا إلى حتوفهم في حروب أسميناها "عبثية" لنداري حيرتنا ، وها هو مبارك يمضي وبعده القذافي وصالح ، وقبلهما بن علي ، ولا أسرار تفضح.

نحن نتعايش مع أسرار لا نعرفها حتى ، ونكذب عندما ندّعي عكس ذلك ... ربما "نشمّها" فقط حين يباغتنا "برد العجوز" قادماً من "المنطقة الخضراء" بعد أن عزمنا على خلع "عباءاتنا".

بورتريه

الخـوجـا أحمـد داوود أوغلـو

صالح الحمداني

قد لا يتوفر له الكثير من الوقت ليصبغ شاربيه كما يفعل عادة – على ما يبدو – مع شعر رأسه، لكنه بالتأكيد لديه متسع من الوقت لاختيار خياط جيد لبدلاته الفاخرة، واللائقة بمهندس لدبلوماسية حوّلت تركيا : من بلد ساع (بجنون) للدخول تحت خيمة الاتحاد الأوروبي المتمنع – فرنسيا على الأقل – إلى وريث مفترض للدولة العثمانية، يحلم، ويخطط، ويسعى لكومنولث عثماني يضم خمسة وأربعين بلدا، يناظر كومنولث بريطانيا العظمى، ويتحدى – بالتأكيد – فرانكفونية فرنسا الساركوزية، الملوّحة دوما بملف الأرمن الشائك.

يسمّونه في بلاده "رجل الظل" أو "صاحب اليد العليا"، بينما يصرّ (مريدوه) في الخارجية التركية، التي تسلم حقيبتها في مايو/أيار ٢٠٠٩، على تسميته بـ "الخوجا" أي المعلم. صحيفة "ملييت" أسمته مرة "توأم توماس فريدمان" كاتب نيويورك تايمز الشهير، الذي توقع في أحد كتبه "زعامة تركية لكل الجغرافيا العربية، مضافا لها دول البلقان، والقوقاز، وآسيا الوسطى، بحلول عام ٢٠٥٠".

ولد في عام ١٩٥٩ في "قونية" الواقعة في قلب الأناضول، وأكمل دراسته الثانوية في "إسطنبول إركك ليسسي"، وهي مدرسة عالمية ألمانية، ليلتحق بعدها بقسم العلوم السياسية في "جامعة البوسفور" التي تعد من أهم المؤسسات الجامعية التركية، والتي تدرس موادها باللغة الانكليزية. وليتخرج من كلية "الاقتصاد والعلوم الإدارية" فيها عام ١٩٨٣ بتخصص مزدوج في "العلوم السياسية والاقتصاد".

البروفيسور أحمد داوود أوغلو يتقن اللغات : الإنكليزية، والألمانية، والعربية. وقد نالت كتبه ومقالاته شهرة واسعة، وترجمت إلى لغات عدة من بينها : اليابانية، والبرتغالية، والروسية، والفارسية، والعربية، والألبانية.

اعتبرته مجلة "السياسة الخارجية" واحداً من "أفضل ١٠٠ من المفكرين العالميين لعام ٢٠١٠، لكونه العقل المدبر وراء صحوة عالمية في تركيا".

له آراء مهمة في القضايا التي تخص بلاده وتخص المنطقة، طرحها في كتابه الأشهر "العمق الإستراتيجي" الذي تناول فيه سبل تأمين الأمن القومي التركي، وكيفية توظيف تركيا موروثها التاريخي والجغرافي في سياستها الخارجية.

إسلامياً : ينادي هذا الذي "يحمل عقل مكيافيللي وقلب جلال الدين الرومي" كما وصف من أحد السياسيين، بوضع اتفاقية للأمن والتعاون بين أعضاء "منظمة المؤتمر الإسلامي" على غرار "اتفاقية هلسنكي" للأمن والتعاون الأوروبي.

سورياً : تتلخص نظرته بما قاله مؤخرا، لرئيس كتلة "الوفاء للمقاومة" في البرلمان اللبناني التابعة لحزب الله من : "أن النظام السوري سيسقط قريبا، وعليكم أن تعيدوا حساباتكم، وقراءتكم الواقع الجديد في المنطقة".

إيرانياً : يرى "أن إيران في وضع لا تحسد عليه، فهي تعاني أزمات داخلية وخارجية، والعقوبات المتتالية أنهكتها ، وبالتالي لم يعد أمامها بعد التلويح الغربي بفرض عقوبات على صادرات النفط، سوى التفكير جديا بما بعد(بشار) الأسد"

عراقياً : هو يقول بكل ثقة : "انظروا إلى الإمكانات الهائلة في العراق، يمكن للعراق أن يدخل بين أسرع اقتصادات العالم نمواً، بفضل ثرواته الطبيعية الكبيرة، المهم أن يبتعد عن الاشتباكات الطائفية والمذهبية، والانتماء للمواطنة العراقية فقط".

عربياً : يرى "أن الشباب العربي يبحث عن كرامة وطنية جديدة، يريد الشعور بأن له قيمة، ويحظى بتقدير واهتمام من قبل من يحكمون البلاد، ويريد أيضاً الشعور بأن له كلمة عندما يدور الحديث والتخطيط لتحديد مستقبل المجتمع، والشباب يسعى أيضا لنيل التقدير على المستوى الدولي، وأعتقد أن مثل هؤلاء الشباب هم الضمانة الأكبر للمنطقة، فهم يريدون لعب دور محدد ورئيسي في مستقبل بلادهم، ونحنُ علينا أن نحترمهم، ونحترم مواقفهم، وأن نعمل على إعدادهم للمستقبل".